من الإعجاز المستقبلي للقرآن الكريم

(الضوابط والمزالق)

د. ناصر بن فلاح الشهراني (*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد،،،

فمن نافلة القول أن نذكر أن القرآن الكريم قد ورد في مواطن كثيرة منه آيات تتنبأ بما يقع من أمور مستقبلية فوقعت بالفعل فكان وقوعها دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودلالة - أيضًا- على أن إعجاز القرآن الكريم مستمر إلى أن يرث الله - عز وجل- الأرض ومن عليها.

ومن قضايا الإعجاز المستقبلي التي ذكرها العلماء تنبؤه بوسائل المواصلات الحديثة التي لم يكن يعرفها الأقدمون.

واستدلوا لذلك بآيات من كتاب الله - عز وجل - كقوله تعالى﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[٤١] وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾[٤٢](١) أي ما يركبون في البر مما يشابه الفلك المشحون مثل السيارات الناقلة العملاقة التي تنقل الناس وأمتعتهم.

واستدلوا في هذا الباب - أيضا - بقوله تعالى ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾(٢).

فاستدلوا بالآية الكريمة على أنه ستوجد وسائل مواصلات حديثة

(*) أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

(١) سورة يس آية ٤١- ٤٢.

(٢) سورة النحل آية ٨.

مثل السيارات والطائرات وغيرها مما لم يكن يعلمه العرب وقت نزول القرآن.

هذا، وقد بالغ بعض العلماء في تنزيل بعض الآيات على معطيات العصر الحديث واستنبطوا منها ما هو بعيد عن دلالتها، كما فعل الدكتور السيد الجميلي في كتابه "الإعجاز العلمي في القرآن " عندما ذكر أن معنى قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[1] أنه سيأتي اليوم الذي تتعطل فيه العشار ويستغنى عنها بالطائرات والقطارات والسيارات والمستحدثات العصرية وغيرها من وسائل المواصلات.

وهذا التفسير للآية الكريمة أرى أنه تفسير بعيد، لأن سياق الآية فيما يحدث يوم القيامة من تكوير الشمس وانكدار النجوم... وغيرها.

وهذا ما دعاني إلى أن أقوم بهذا البحث حيث إنه يجب أن تُفسّر الآيات الدالة على الإعجاز المستقبلي في إطار مجموعة من الضوابط يلتزم بها المفسر، ولا يبالغ في أن يتلمس وجوه الإعجاز المستقبلي للآية الكريمة حتى وإن كانت لا تحتمله.

أولاً: الإعجاز المستقبلي

الإعجاز فيما تضمنه القرآن الكريم من الأنباء أربعة أقسام :

القسم الأول:

الإخبار عن الغيب المطلق، كالخبر عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته، والملائكة، وصفة الجنة وصفة النار.

---

(١) سورة التكوير آية ٤.

القسم الثاني:

الإخبار عن الأمور السابقة، كالخبر عن بدء الخلق، وعن الأمم السالفة.

القسم الثالث:

الإخبار عما يكون في مستقبل الزمان كالإخبار عن الشيء قبل وقوعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو عما يكون بعد ذلك.

كما في قوله تعالى: ﴿ الم* غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وقد صحت الرواية بتحقيق ما أخبرت به هذه الآيات عن غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك حديث نيار بن مكرم الأسلمي، قال:

لما نزلت﴿ الم* غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم، لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، وكانت قريش تحب ظهور فارس، لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، يصيح في نواحي مكة: ﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ

(١) سورة الروم ١- ٥.

غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينك، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسًا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه، قال: فسموا بينهم ست سنين، قال فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين؛ لأن الله تعالى قال﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير[1].

كذلك ما تضمنه القرآن من الإخبار عن أشراط الساعة، والبعث بعد الموت، والحشر والحساب، والمصير إلى الجنة أو إلى النار، بما لا سبيل للبشر إلى معرفته إلا بوحي الله عز وجل.

القسم الرابع:

الإخبار عما تكنه النفوس وتخفيه الضمائر، مما لا يمكن أن يعلمه إلا الله، ولا يصل إلى علم النبي صلى الله عليه وسلم إلا بوحي الله.

كالذي في سورة التوبة من ذكر أسرار المنافقين، حتى خاف الناس أن ينزل القرآن بأسمائهم يظهر حقائق ما في نفوسهم. كما قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال التوبة ؟، قال: بل هي الفاضحة،

---

(١) قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نياز بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد. قال الشيخ الألباني: حسن. سنن الترمذي (٥/ ٣٤٤ رقم ٣١٩٤).

ما زالت تنزل:﴿وَمِنْهُمْ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ﴾، حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها(١).

ولا شك أن الإعجاز المستقبلي يندرج تحت القسم الثالث وهو الإخبار عما يكون في المستقبل لكن لا يعني هذا بالضرورة أن كل ما يقع في المستقبل قد اشتمل عليه القرآن الكريم.

ثانيًا: الضوابط:

يخطئ كثير من الناس حين يحرصون على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية، وكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية.

ومنشأ الخطأ في هذا أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعًا لسنة التقدم، فلا تزال في نقص دائم يكتنفه الغموض أحيانًا، والخطأ أحيانًا أخرى، وتستمر هكذا حتى تقترب من الصواب، وتصل إلى درجة اليقين، وأي نظرية منها تبدأ بالحدس والتخمين وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها، أو يتضح زيفها وخطؤها، ولهذا كانت عرضة للتبديل، وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت، وتتقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخرى(٢).

وعلى هذا فيجب أن تُفسّر الآيات الدالة على الإعجاز المستقبلي في

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (رقم:٤٦٠٠) ومسلم (رقم: ٣٠٣١).
أنظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن – عبد الله بن يوسف الجديع – ص٢٥-٢٧ بتصرف.

(٢) مباحث في علوم القرآن – مناع خليل القطان – ص ٢٦٢.

إطار مجموعة من الضوابط يلتزم بها المفسر، ولا يبالغ في أن يتلمس وجوه الإعجاز المستقبلي للآية الكريمة حتى وإن كانت لا تحتمله.

وعندما بدأ البحث في الإعجاز القرآني في العلوم التجريبية اهتم علماء هذا التخصص بوضع قواعد ينطلق منها الباحث في الإعجاز... وأهم ما قالوه في هذا الموضوع[١] بإيجاز:

١- علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص. وعلم الإنسان محدود يقبل الازدياد ومعرض للخطأ.

٢- هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة كما أن هنالك حقائق علمية كونية قطعية.

٣- في الوحي نصوص ظنية في دلالتها وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها.

٤- لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي. فإن وقع في الظاهر فلابد أن هناك خللا في اعتبار قطعية أحدهما[٢].

---

(١) الشيخ عبد المجيد الزنداني، أ.د سعاد يلدرم والشيخ محمد الأمين ولد محمد، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ ، ص ٣٤ - ٣٦ - ٧٢.

(٢) هذه قاعدة جليلة يقررها علماء المسلمين ، وألف فيها شيخ الإسلام أبن تيمية كتابه القيم (درء تعارض العقل والنقل). أنظر المعجزة العلمية في القرآن والسنة- فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني ص٩ – الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مكة المكرمة

٥- عندما يُري الله عباده آية من آياته في الآفاق أو في الأنفس مصدقة لآية في كتابه أو حديث من أحاديث رسوله - ﷺ- يتضح المعنى ويكتمل التوافق ويستقر التفسير وتتحدد دلالات ألفاظ النصوص بما كشف من حقائق علمية وهذا هو الإعجاز.

٦- إن نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل.

٧- إذا وقع تعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية رفضت هذه النظرية لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علما، وإذا وقع التوافق بينهما تقبل النظرية كوجه من أوجه التفسير العلمي. وإذا كان النص ظنيًا والحقيقة العلمية قطعية وأمكن التأويل بضوابطه قبل.

٨- إذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية وبين حديث ظني في ثبوته فيؤول الظني من الحديث ليتفق مع الحقيقة القطعية، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيقدم القطعي.

إذًا هذه بإيجاز أهم الضوابط التي لابد للباحث في أوجه الإعجاز المستقبلي وغيره مراعاتها قبل البدء في بيان ما لديه.

ثالثًا: المزالق:

من خلال البحث والإطلاع نجد أن بعض العلماء قد بالغوا في تنزيل بعض الآيات على معطيات العصر الحديث واستنبطوا منها ما هو بعيد عن دلالتها، ومن ذلك:

١- ما ذكره الدكتور السيد الجميلي في كتابه "الإعجاز العلمي في القرآن "[١] من أن معنى قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[٢] أنه سيأتي اليوم الذي تتعطل فيه العشار ويستغنى عنها بالطائرات والقطارات والسيارات والمستحدثات العصرية وغيرها من وسائل المواصلات.

وهذا التفسير للآية الكريمة أرى أنه تفسير بعيد، لأن سياق الآية فيما يحدث يوم القيامة من تكوير الشمس وانكدار النجوم... وغيرها.

وقال الطبري – رحمه الله –: قوله:﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار: جمع عشراء، وهي التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها. يقول تعالى ذكره: وإذا هذه الحوامل التي يَتَنافس أهلها فيها أُهملت فتركت، من شدة الهول النازل بهم فكيف بغيرها[٣]؟!

قال ابن كثير – رحمه الله – عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال عكرمة، ومجاهد: عشار الإبل. قال مجاهد: ﴿ عُطِّلَت﴾ تركت وسُيّبت. وقال أبي بن كعب، والضحاك: أهملها أهلها: وقال الربيع بن خُثَيم: لم تحلب ولم تُصَرّ، تخلى منها أربابها. وقال الضحاك: تركت لا راعي لها.

والمعنى في هذا كله متقارب. والمقصود أن العشار من الإبل-وهي: خيارها والحوامل منها التي قد وَصلت في حملها إلى الشهر العاشر-واحدها عُشَراء، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع- قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها

---

(١) ص ٣٧.

(٢) سورة التكوير آية ٤.

(٣) تفسير الطبري – (ج ٢٣ / ص ٢٠١).

والانتفاع بها، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها، بما دَهَمهم من الأمر العظيم المُفظع الهائل، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها، ووقوع مقدماتها[1].

وعلى هذا فلا شك أن سياق الآية فيما يحدث يوم القيامة وليس المستحدثات العصرية كما ذكر الدكتور الجميلي..

٢- كما ذكر الدكتور الجميلي في ص ٣٨ قول الله تعالى:

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات: ١ - ٧].

وبعد أن تكلم عن اختلاف المفسرين اختلافا كبيرا في تأويلها... قال: وهنا وصف دقيق للطائرات الحربية الخاطفة بسرعة البرق وهي تروح وتجيء تعصف بقنابلها المدمرة كالحمم وتترك الناس عصفًا مأكولاً. وقال: أفادت هذه الآيات الشريفة كل أنواع الطائرات المعاصرة التي تستعملها البلاد المتحاربه لتعصف بخصومها، وإن كانت هذه الطائرات والمتفجرات المهلكة المقذوفة من الطائرات إن كانت غير معروفة وقت نزول القرآن الكريم، بيد أنه لا يوجد دليل يمنع حمل هذه الآيات على تلك المعاني العلمية أو يعارض هذا الرأي.

ويقول الدكتور الجميلي: ونحن نرى أن يوضع في الاعتبار هذا التفسير العلمي ليس على سبيل القطع، وإنما على سبيل الترجيح وغلبة الظن.

---

(١) تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ٢٨).

ثم ذكر قول الدكتور صلاح الدين خطاب[١] حول تفسير هذه الآيات حيث قال:

وهذا وصف علمي دقيق للطائرات الحربية الحديثة بمختلف حركاتها، وبجميع أفعالها، فهي تعصف بقنابلها كالحميم، وتترك الناس كالعصف المأكول وفي أثناء قيامها بذلك تنشر المنشورات وتلقيها على الجنود وعلى غيرهم في ميادين الحرب وعلى الأهالي والسكان المدنيين للإخبار بما تريده الدولة المحاربة، وتفرق بصولتها الجبارة بين الكتائب والفصائل والتجمعات فرقًا حيث إنه لا يستقر تحتها ولا يثبت أي جمع بل بمجرد رؤيتها يتفرق الناس، ويختفون في الكهوف والملاجئ والمخابئ.

وتفسير هذه الآيات بهذا المعنى بعيد جدا وتخصيص ليس عليه دليل..

قال القرطبي – رحمه الله – عند كلامه عن قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾ جمهور المفسرين على أن المرسلات الرياح. وروى مسروق عن عبد الله قال: هي الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي. وهو قول أبي هريرة ومقاتل وأبي صالح والكلبي. وقيل: هم الأنبياء أرسلوا بلا إله إلا الله؛ قاله ابن عباس. وقال أبو صالح: إنهم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات. وعن ابن عباس وابن مسعود: إنها الرياح؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ﴾. وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾.

ومعنى "عرفا" يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس؛ تقول العرب: ألناس

(١) من كتابه (الجانب العلمي في القرآن) ط. الناشر العربي. ص ١٧ وما بعدها.

إلى فلان عرف واحد: إذا توجهوا إليه فأكثروا. وهو نصب على الحال من ﴿وَالْمُرْسَلاتِ﴾ أي والرياح التي أرسلت متتابعة. ويجوز أن تكون مصدرا أي تباعا. ويجوز أن يكون النصب على تقدير حرف الجر، كأنه قال: والمرسلات بالعرف، والمراد الملائكة أو الملائكة والرسل. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب، لما فيها من نعمة ونقمة، عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه. وقيل: إنها الزواجر والمواعظ. و"عرفا" على هذا التأويل متتابعات كعرف الفرس؛ قال ابن مسعود. وقيل: جاريات؛ قال الحسن؛ يعني في القلوب. وقيل: معروفات في العقول[1].

﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ الرياح بغير اختلاف؛ قال المهدوي. وعن ابن مسعود: هي الرياح العواصف تأتي بالعصف، وهو ورق الزرع وحطامه؛ كما قال تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾. وقيل: العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها. وقيل: الملائكة تعصف بروح الكافر؛ يقال: عصف بالشيء أي أباده وأهلكه، وناقة عصوف أي تعصف براكبها، فتمضي كأنها ريح في السرعة، وعصفت الحرب بالقوم أي ذهبت بهم. وقيل: يحتمل أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف. ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ الملائكة الموكلون بالسحب ينشرونها. وقال ابن مسعود ومجاهد: هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته؛ أي تنشر السحاب للغيث. وروي ذلك عن أبي صالح. وعنه أيضا: الأمطار؛ لأنها تنشر النبات، فالنشر بمعنى الإحياء؛ يقال: نشر الله الميت وأنشره أي أحياه. وروى عنه السدي: أنها الملائكة تنشر كتب الله

(١) تفسير القرطبي: (ج ١٩ / ص ١٥٤) وأنظر:اللباب في علوم الكتاب- أبو حفص عمر بن علي الدمشقي- (ج ٢٠/ص٦٠).

عز وجل. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم.

وقال الربيع: إنه البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح. قال: "والناشرات"بالواو؛لأنه استئناف قسم آخر. ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل؛ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو صالح. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: ما تفرق الملائكة من الأقوات والأرزاق والآجال. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدده. وعن سعيد عن قتادة قال: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ الفرقان، فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال. وقال الحسن وابن كيسان. وقيل: يعني الرسل فرقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه أي بينوا ذلك.

وقيل: السحابات الماطرة تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتند في الأرض حين تضع[1].

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة بإجماع؛ أي تلقي كتب الله عز وجل إلى الأنبياء عليهم السلام؛ قاله المهدوي. وقيل: هو جبريل وسمي باسم الجمع؛ لأنه كان ينزل بها. وقيل: المراد الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل الله عليهم...

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي تلقى الوحي إعذارا من الله أو إنذارا إلى خلقه من عذابه؛ قال الفراء. وروى عن أبي صالح قال: يعني الرسل يعذرون وينذرون. وروى سعيد عن قتادة "عذرا " قال: عذرا لله جل ثناؤه إلىٰ خلقه،

(١) تفسير القرطبي – (ج ١٩ / ص ١٥٥).

ونذرا للمؤمنين ينتفعون به ويأخذون به. وروى الضحاك عن ابن عباس. "عذرا" أي ما يلقيه الله جل ثناؤه من معاذير أوليائه وهي التوبة "أو نذرا" ينذر أعداءه.. (١).

وعلى هذا فإن ما ذكره الدكتور الجميلي وما نقله عن الدكتور صلاح الدين خطاب بعيد كل البعد عن المعنى المراد في الآيات وحمل للنصوص على معاني لا تحتملها.

٣- ما نقله الدكتور الجميلي(٢) عن الدكتور صلاح الدين خطاب في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام٦٥].

حيث قال: والعذاب من تحت الأرجل مقصود به الألغام، والغواصات المنصوبة في الأرض وفي البحر فيمر عليها المقصود إهلاكه فتدمره تدميرًا.

ولا شك أن تفسير هذه الآية بما ذهب إليه الدكتور صلاح الدين خطاب من المزالق في تحميل أي الكتاب العزيز ما لا تحتمل...

قال أبو جعفر الطبري – رحمه الله- في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان، يا محمد: إن الذي ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ومن كل كرب، ثم تعودون للإشراك به، هو القادر على أن يرسل عليكم عذابًا من

(١) تفسير القرطبي - (ج ١٩ / ص ١٥٥).
(٢) ص ٣٩.

فوقكم أو من تحت أرجلكم، لشرككم به، وادّعائكم معه إلهًا آخر غيره، وكفرانكم نعمه، مع إسباغه عليكم آلاءه ومِنَنه.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى " العذاب " الذي توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم.

فقال بعضهم: أما العذاب الذي توعدهم به أن يبعثه عليه من فوقهم، فالرجم. وأما الذي توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم، فالخسف.

وقال آخرون: عنى بالعذاب من فوقكم، أئمةَ السوء =" أو من تحت أرجلكم "، الخدم وسِفلة الناس.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي، قولُ من قال: عنى بالعذاب من فوقهم، الرجمَ أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم = ومن تحت أرجلهم، الخسفَ وما أشبهه. وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى " فوق " و " تحت " الأرجل، هو ذلك، دون غيره.

إلى أن قال: القول في تأويل قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

يقول تعالى ذكره: أو يخلطكم =" شيعًا "، فرقًا، واحدتها " شِيعة ". وأما قوله: " يلبسكم " فهو من قولك: " لبَسْت عليه الأمر "، إذا خلطت،" فأنا ألبِسه". وإنما قلت إن ذلك كذلك، لأنه لا خلاف بين القرأة في ذلك بكسر "الباء "، ففي ذلك دليل بَيِّنٌ على أنه من: " لبَس يلبِس "، وذلك هو معنى الخلط. وإنما عنى بذلك: أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابًا مفترقة. وأما قوله: " ويذيق بعضكم بأس بعض "، فإنه يعني: يقتل بعضكم بيد بعض.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية.

فقال بعضهم: عني بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وفيهم نزلت.

وقال آخرون: عنى ببعضها أهل الشرك، وببعضها أهل الإسلام.

قال أبو جعفر: والصواب من القول عندي أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره توعَّد بهذه الآية أهلَ الشرك به من عبدة الأوثان، وإياهم خاطبَ بها، لأنها بين إخبار عنهم وخطاب لهم ، وذلك أنها تتلو قوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، ويتلوها قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾. وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين، كان بيّنًا أن ذلك وعيدٌ لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب لا لمن لم يجر له ذكر. غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإنه قد عم وعيدُه بذلك كلَّ من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها.

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة "، فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيدًا لمن ذكرتُ من المشركين، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى ذكره بمعصيتهم إياه هذه العقوبات، فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إليه، من المعاصي التي

يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها، ولم يُعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها. إلى أن قال – رحمه الله- وأما الذين تأوّلوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة، فإني أراهم تأوّلوا أن في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يُسخط الله، نحو الذي ركب مَن قبلهم من الأمم السالفة، من خلافه والكفر به، فيحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من المثلات والنقمات، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله: " جاء منهن اثنتان بعد رسول الله – ﷺ – بخمس وعشرين سنة. وبقيت اثنتان، الخسف والمسخ "، وذلك أنه رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " سيكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف "، وأن قومًا من أمته سيبيتون على لهو ولعب، ثم يصبحون قردة وخنازير. وذلك إذا كان، فلا شك أنه نظير الذي في الأمم الذين عتوا على ربهم في التكذيب وجحدوا آياته. وقد روي نحو الذي روي عن أبي العالية، عن أبيّ.

أما قوله تعالى:﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾

فقال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر، يا محمد، بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين بربّهم الجاحدين نعمه، وتصريفناها فيهم لعلهم يفقهون يقول: ليفقهوا ذلك ويعتبروه، فيذّكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم، من عبادة الأوثان والأصنام، والتكذيب بكتاب الله تعالى ذكره ورسوله صلى الله عليه وسلم[١]. وقال السعدي – رحمه الله -﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ أي: ننوعها، ونأتي بها على أوجه كثيرة وكلها دالة على الحق. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾

(١) تفسير الطبري (ج٥ / ص٣٣٩) وابن كثير (ج١ / ٦٦٩).

أي: يفهمون ما خلقوا من أجله، ويفقهون الحقائق الشرعية، والمطالب الإلهية[1].

وها أنت ترى أن الدكتور/ صلاح الدين خطاب قد نحا منحىً بعيدًا بالآيات عن سياقها الذي وردت فيه، بل إنه قد لوى أعناقها تمامًا واجتثها من نظمها لكي تدل على ما أراد وهو بعيد ؛ لأن الله عز وجل قد توعد بهذه الألوان من العذاب الكافرين أن يلحق بهم ما الحق بالأقوام السابقة من صنوف العذاب المختلفة، وهذه الغواصات والألغام التي أشار إليها قد تصيب المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم ومشاهد في الوقت الراهن.

٤- ما نقله الدكتور الجميلي في الكتاب السابق[2] عن الدكتور صلاح الدين خطاب بقوله: ومن أعجب ما تنبأ به القرآن الكريم قول الحق سبحانه:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس ٢٤].

هذه الآية تدل دلالة قاطعة على القنابل الذرية[3] والقنابل الذرية تحمل كل معاني الهدم والتخريب والدمار.

---

(١) بتفسير السعدي (ج١ / ص ١٠٩).

(٢) ص ٤٠.

(٣) من كتابه (الجانب العلمي في القرآن) ص ١٨ بتصرف.

وهذا المعني بعيد جدًا عما هو مذكور في الآية.

قال ابن كثير – رحمه الله – ضرب [تبارك وتعالى] مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقَضْب وغير ذلك،﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أي: زينتها الفانية، ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ أي: حَسُنت بما خرج من رُباها من زهور نَضِرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ الذين زرعوها وغرسوها﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على جَذاذها وحصادها فبيناهم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح بادرة، فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: يبسا بعد [تلك] الخضرة والنضارة، ﴿ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ أي: كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك. وقال قتادة: ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تنعم.

ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ أي: نبين الحُجج والأدلة، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا مع اغترارهم بها، وتمكنهم بمواعيدها وتَفَلّتها منهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها[1].

قال الشيخ السعدي – رحمه الله – وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتًا قصيرًا، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال

(١) تفسير ابن كثير – (ج ٣ / ص ٢٢٣)

صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها[1].

٥- ما ذكره السيد أحمد ياسين الخياري في كتابه محاضرات في علوم القرآن[2] بقوله: أن قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ١٨].

دليل على قطار السكة الحديد البري.

سياق الآيات عن نعم الله على قوم سبأ والسيد الخيارى يقول أنها دليل على قطار السكة الحديدية وهذه لا شك تفسير بعيد يقول ابن جرير -رحمه الله- وقوله ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا في قرية ولا يغدون إلا من قرية. وقوله ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم والقرى التي باركنا فيها لياليَ وأيَّامًا آمنين لا تخافون جوعًا ولا عطشًا، ولا من أحد ظلمًا[3].

ويقول ابن كثير - رحمه الله- يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغبْطة

---

(١) تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٢٤٩)

(٢) ص ٧٥.

(٣) تفسير الطبري (ج١٩ / ص ٣٤٨)، وأنظر تفسير البغوي- (ج٦ / ص ١١٣) والسعدي (ج١/ ص ٥٩٢)

والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرا، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، وهب بن منبه: هي قرى بصنعاء. وكذا قال أبو مالك. وقال مجاهد، والحسن. وسعيد بن جبير، ومالك عن زيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي، وابن زيد وغيرهم: يعني: قرى الشام. يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة. وقال العوفي، عن ابن عباس: القرى التي باركنا فيها: بيت المقدس. وقال العوفي، عنه أيضا: هي قرى عربية بين المدينة والشام. ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ أي: بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يَقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى؛ ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه، ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا[1].

٦- وما ذكره السيد الخياري في كتابه السابق(ص٧٦) بقوله:

أن قول الله تعالى﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل ٤٠].

دليل على الإشارات اللاسلكية البرقية.

سياق القصة عن طلب سليمان عليه السلام إحضار عرش بالقيس من

(١) تفسير ابن كثير – (ج ٦ / ص ١٤١).

اليمن فما علاقة هذه المعجزة بالإشارات اللاسلكية.. يقول ابن كثير –رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان. وكذا رَوَى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان: أنه آصف بن برخياء، وكان صدّيقا يعلم الاسم الأعظم. وقال قتادة: كان مؤمنا من الإنس، واسمه آصف. وكذا قال أبو صالح، والضحاك، وقتادة: إنه كان من الإنس –زاد قتادة: من بني إسرائيل. وقال مجاهد: كان اسمه أسطوم. وقال قتادة – في رواية عنه –: كان اسمه بليخا. وقال زهير بن محمد: هو رجل من الأندلس يقال له: ذو النور.

وقوله: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي: ارفع بصرك وانظر مُدّ بصرك مما تقدر عليه، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك. وقال وهب بن منبه: امدد بصرك، فلا يبلغ مداه حتى آتيك به. فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب، ثم قام فتوضأ، ودعا الله عز وجل. قال مجاهد: قال: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الزهري: قال: يا إلهنا وإله كل شيء، إلهًا واحدًا، لا إله إلا أنت، ائتني بعرشها. قال: فتمثل له بين يديه. قال مجاهد، وسعيد بن جبير، ومحمد بن إسحاق، وزهير بن محمد، وغيرهم: لما دعا الله، عز وجل، وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس–وكان في اليمن، وسليمان عليه السلام ببيت المقدس– غاب السرير، وغاص في الأرض، ثم نبع من بين يدي سليمان، عليه السلام.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه. قال: وكان هذا الذي جاء به من عُبَّاد البحر، فلما عاين سليمان

وملَؤه ذلك، ورآه مستقرًا عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا من نعم الله علي[١].

٧- وما ذكره السيد الخياري(ص٧٦) بقوله:

أن قول الله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَـائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام٣٨].

دليل على الطائرة.

ولا شك أن سياق الآية أعم وأشمل مما حدده به السيد الخياري فالكلام عن جميع مخلوقات الله قال أبو جعفر الطبري – رحمه الله-: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبُنَّ الله غافلا عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون! وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، بل جعل ذلك كله أجناسًا مجنَّسة وأصنافًا مصنفة، تعرف كما تعرفون، وتتصرف فيما سُخِّرت له كما تتصرفون، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها، ومُثْبَت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاءَ أعمالها. يقول: فالرب الذي لم يضيِّع حفظَ أعمال البهائم والدوابّ في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء،

(١) تفسير ابن كثير – (ج ٥ / ص ٢٧٨).وأنظر تفسير السعدي (ج ١ / ٥٠٤).

أحرى أن لا يُضيع أعمالكم، ولا يُفَرِّط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها، أيها الناس، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، إذ كان قد خصكم من نعمه، وبسط عليكم من فضله، ما لم يعمَّ به غيركم في الدنيا، وكنتم بشكره أحقَّ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى، لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميِّزون، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطيرَ، الذي به بين مصالحكم ومضارِّكم تفرِّقون. وأما قوله: " ما فرطنا في الكتاب من شيء "، فإن معناه: ما ضيعنا إثبات شيء منه، وأما قوله: " ثم إلى ربهم يحشرون "، فإن أهل التأويل اختلفوا في معنى "حشرهم "، الذي عناه الله تعالى ذكره في هذا الموضع. فقال بعضهم: "حشرها "، موتها. وقال آخرون: " الحشر " في هذا الموضع، يعني به الجمعُ لبعث الساعة وقيام القيامة(١).

قال ابن كثير – رحمه الله– وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ قال مجاهد: أي أصناف مُصَنَّفة تُعرَف بأسمائها. وقال قتادة: الطير أمة، والإنس أمة، والجن أمة. وقال السُّدِّي: ﴿إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي: خلق أمثالكم.

وقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: الجميع علمهم عند الله، ولا ينسى واحدًا من جميعها من رزقه وتدبيره، سواء كان بريًا أو بحريًا

وقوله ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج،

(١) تفسير الطبري (ج٥ / ص ٧٧).

حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن أبيه، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال: حَشْرها الموتُ.

وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد، عن مسروق، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: موتُ البهائم حَشْرُها[١].

٨- وتحت عنوان (مستحدثات علمية سبق إليها القرآن الكريم) يقول الدكتور الجميلي[٢]: تنبأ القرآن الكريم بالمسرة، وجهاز الإرسال المسمى الراديو، والهاتف المسمى التلغراف والتلفاز المسمى التلفيزيون. هذه المنجزات العلمية الخطيرة الأثر العظيمة القدر غير المجهولة الأثر في حياة الإنسان إنما أصبحت جزءًا أساسيًا من نشاطه وحركته في الحياة. قال تعالى﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[سبأ٥٣].

سياق الآيات وتفسيرها في واد وكلام الدكتور الجميلي في واد آخر ويتضح هذا من خلال ما ذكره المفسرون عن معنى هذه الآية حيث يقول ابن جرير – رحمه الله –: يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم، ومعاينتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله وبمحمد صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبما جاءهم به من عند الله .. وقوله ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدًا من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (ج١ / ص٦٣٦).

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن – د. السيد الجميلي – ص ٤١.

(٣) تفسير الطبري (ج١٩ / ص ٣٧٨).

وقال ابن كثير – رحمه الله– ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾: قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال:بالظن.قلت: كما قال تعالى:﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾[الكهف: ٢٢]، فتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: مجنون. إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد، ويقولون:﴿إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]. قال قتادة: يرجمون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار(١).

وقال البغوي – رحمه الله– ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: بالقرآن، وقيل: بمحمد صلى الله عليه وسلم، من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة، ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قال مجاهد: يرمون محمدًا بالظن لا باليقين، وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن، ومعنى الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم، والمكان البعيد: بعدهم عن علم ما يقولون، والمعنى يرمون محمدًا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون. وقال قتادة: يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار(٢).

٩- وفي السياق نفسه ما ذكره السيد الخياري(٣) بقوله:

أن قول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت٥٣].

---

(١) تفسير ابن كثير – (ج ٦ / ص ١٥٤).

(٢) تفسير البغوي – (ج ٦ / ١٢٤).

(٣) في كتابه "الإعجاز العلمي في القرآن – ص ٧٦.

دليل على الحاكي والمُسرَّة والمذياع أو الفونوغراف والتلفون والراديو.

ما ذكره السيد الخياري هنا تخصيص في غير محله وسياق الآية يشمل الآيات في الآفاق والأنفس.

قال الطبري – رحمه الله – يقول تعالى ذكره: سنري هؤلاء المكذّبين، ما أنـزلنا على محمد عبدنا من الذكر، آياتنا في الآفاق. واختلف أهل التأويل في معنى الآيات التي وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم، فقال بعضهم: عني بالآيات في الآفاق وقائع النبيّ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بنواحي بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها، وبقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فتح مكة.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره، وشمس النهار، وذلك ما وعدهم أنه يريهم في الآفاق. وقالوا: عنى بالآفاق: آفاق السماء، وبقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ سبيل الغائط والبول.

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الأول، وهو ما قاله السديّ، وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد نبيّه صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راءوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا راؤه قبل من ظهور نبيّ الله صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك.

وقوله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ يقول جلّ ثناؤه: أري هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنـزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجازيهم على أعمالهم، المحسن بالإحسان، والمسيء جزاءه(١).

وقال ابن كثير – رحمه الله– ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحُجَجنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله، عز وجل، على رسوله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية (فِي الآفَاقِ)، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر

الأديان: قال مجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بَدْر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلّت بهم، نصر الله فيها محمدا وصحبه، وخذل فيها الباطل وحِزْبَه. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحِيَله، وحذره أن يجوزها، ولا يتعداها،

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؟ أي: كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه، كما قال: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾[النساء: ١٦٦] (٢).

---

(١) تفسير الطبري (ج٢٠ / ص ٣١٨).

(٢) تفسير ابن كثير (ج ٦ / ص ٤٥٧).وأنظر تفسير البغوي (ج٦ /ص ٣٧٢).

١٠- وما ذكره السيد الخياري (ص١٠٦) بقوله:

أنه يستنتج من قول الله تعالى:﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات ٣٠].

علم الهندسة.

لا أدري على أي أساس بنى السيد الخياري استدلاله بهذه الآية على علم والهندسة وسياق الآيات يتحدث عن عقاب الله للكفار يوم القيامة..

قال الطبري – رحمه الله – ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ يعني تعالى ذكره: إلى ظلّ دخان ذي ثلاث شعب. وقال: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ قال: دخان جهنم(١).

وقال ابن كثير – رحمه الله – يقول تعالى مخاطبا للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ يعني: لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعِدَ معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب(٢).

وقال السعدي – رحمه الله – ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ أي: إلى ظل نار جهنم، التي تتمايز في خلاله ثلاث شعب أي: قطع من النار أي: تتعاوره وتتناوبه وتجتمع به(٣).

---

(١) تفسير الطبري (ج٢٣ / ص ١٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير (ج٧ /ص ٥٣٩).

(٣) تفسير السعدي (ج١ / ٨٣٦).

١١- ومن صور الإفراط أيضا الافتتان بعلوم الغرب حتى و لو كانت نظريات في إطار التجريب، و كأن العلم الغربي حق لا مراء فيه، مما أدى إلى اعتقاد بعض المسلمين في هذه النظريات التي لم تثبت بعد على أنها حقائق تصلح لتفسير الآيات أو الأحاديث. ومن أمثلة ذلك المسارعة في تفسير الفتق بالانفجار في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾الأنبياء٣٠، لمحاولة التقريب بين الآية و نظرية الانفجار الكبير (Big bang)، مع أن كلمة الفتق من الناحية اللغوية لا تعني أبدا الانفجار و لم تستخدم كلمة الفتق في القرآن أو السنة بهذا المعنى، ثم أن كلمة الانفجار تؤدى إلى الفصل الكامل بين أجزاء الشيء الواحد مع الهدم و العشوائية في البناء، أما قوله تعالى ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فتعني التحكم التام من الله لخلق عالم منظم لا عشوائية فيه، و لو كانت كلمة الانفجار من الناحية العلمية صحيحة لذكرها القرآن بجلاء بدلا من كلمة الفتق فيقول الله ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ بدلا من ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، حيث إن لفظة الانفجار لها مشتقات في القرآن كما في قوله تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ﴾[يس٣٤]. ثم أننا إذا سألنا العاملين في دراسة نشأة الكون عن نظرية الانفجار الكبير لقالوا بمنتهى الوضوح إن ما وصل إليه العلم حتى الآن غير كاف لتفسير كيفية إيجاد السماوات و الأرض، و أن نظرية الانفجار الكبير لازلت في حاجة إلى كثير من الإصلاحات و التعديلات حتى تصل إلى فهم قريب من الحقيقة[١].

وقد أكد ابن كثير – رحمه الله –، هذا المعنى الصحيح للآية الكريمة عند تفسيره لها حيث قال: ألم يروا ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي:

---

(١) وسطية الإعجاز العلمي بين الإفراط والتفريط – الدكتور محمود عبد الله إبراهيم نجا – موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

-http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=213& select_page=23

كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه. فجعل السماوات سبعًا، والأرض سبعًا، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا، وذلك دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء(١).

• **وختامًا:**

فبعد هذا العرض للضوابط التي وضعها العلماء المنصفون للبحث في قضايا الإعجاز القرآني لكي لا نخرج بالنص القرآني عن مضمونه وسياقه الذي جاء فيه، وعدم الجري وراء كل جديد يأتي به العلم، والسعي حثيثًا لنلحق به الآيات القرآنية، وهي أجل من هذا. ولكي تكتمل الفائدة عرضت لنماذج من الآيات القرآنية التي صرفها بعض العلماء عن نظمها الذي جاءت فيه لكي يثبتوا لأنفسهم وللآخرين أن كل شيء يأتي به العصر الحديث له ذكر وإشارة في القرآن، وهذا خروج بالقرآن الكريم عن غرضه الأساسي الذي أنزله الله عز وجل من أجله وهو أنه كتاب هداية للناس في كل زمان وفي كل مكان.

والحمد لله أولاً وآخرًا وصلى الله على عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (ج ٤ / ص ٤٤٦).

• **ثبت المصادر والمراجع:**

١- الإعجاز العلمي في القرآن - الدكتور/ السيد الجميلي - دار ومكتبة الهلال ودار الوسام بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٩٩٢م .

٢- تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - تحقيق/سامي بن محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣- (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)-عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي - تحقيق/عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن غالب أبو جعفر الطبري - تحقيق/أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي فرج الأنصاري القرطبي - تحقيق هشام سمير البخاري - دار عالم الكتب - الرياض - ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٦- سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين- مع أحكام الألباني - دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) - بيروت.

٧- مباحث في علوم القرآن - مناع خليل القطان - الطبعة السابعة (بدون تاريخ) - مكتبة وهبة - القاهرة- مصر.

٨- محاضرات في علوم القرآن – السيد أحمد ياسين الخياري – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م – مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة- المملكة العربية السعودية.

٩- معالم التنزيل- محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي- تحقيق/محمد عبد الله النمر وآخرين – دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١١- المقدمات الأساسية في علوم القرآن – عبد الله بن يوسف الجديع – مركز البحوث الإسلامية – ليدز – بريطانيا – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.